سلسلة الإبداع الشعرى المعاصر

الفراشة واللهب

شعر

عبد الجواد طايل



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٤

سلسلة الإبداع الشعرى المعاصر

إهـــــداء

ولما مـدَدت إلـىَّ يَداً وصـافـحت وجـدانىَ المجـهـدا
ورقَ الكلامُ على شَفتيك كـمـا رَقَّ فـوقَ النسـيم الندى
وأوحت عـيـونُك لي بالكثـيـر وإن كنتُ فى أول المُبـتـدا
تذكـرتُ أنكَ شيئٌ، أجلُّ من الوصف مهما الخيـالُ بدا

عبدالجواد طايل

بين يدى الديوان

د. يوسف حسن نوفل

هذا هو الديوان السابع للشاعر عبدالجواد طايل، الفراشة واللهب ديوان يحمل بصمة جديدة تنضاف إلى بصمات أخريات قام كل ديوان سابق للشاعر، بوضعها، لتتضح - من ثم - سمات هذا الشاعر وخصائصه الفنية.

كان الديوان السابق لهذا الديوان واسمه «هذا هو القمر» مكتوبًا بنار الإحساس بالغربة والاغتراب، سابحًا إلى مصر فى ملكوت الشعر.

أما هذا الديوان فهو تنمية وتطوير لهذا الاتجاه السابق - السائد لدى معظم الشعراء أيضًا - وهو اتجاه لا يكفى أن نتلمسه فى بيت هنا أو بيت هناك، بل هو فى النص الكلى

حسبما أرى دائمًا فى معالجاتى الشعرية النقدية، إذ يقف النص الكلى - داخل الديوان الذى هو نص كلى أكبر - هذا النص الكلى المتمثل فى مجموعة: برقيات «حب»، المكونة من خمس برقيات، رأى الشاعر أن يجعلها ختام ديوانه.

فى هذه البرقيات نرى تجديد القالب أو الإخراج الشعرى - فى ذلك القصيد المتمفصل، إذا جاز التعبير، حيث يتكون هذا الفيض من خمسة فصول، كما أشرنا رقّمها الشاعر ترقيما.

أولاً: تجمعها جميعا بداية واحدة هى جملة شعرية مكثّفة هى: أحبك جدًا ببساطتها وتلقائيتها.

ثانياً: تعتمد اعتماد كبيرًا على الإيحاء والرمز والدلالة الرمزية، التى يصل إليها القارىء بالتأويل البسيط، حيث يهتدى إلى محور مهم هو: «الشاعر والمدينة.

والمدينة هنا، ليست المدينة المفقودة، وليست «اليوتوبيا»، أو المدينة الفاضلة، وإنما المدينة هنا هى المدينة المحبوبة، وبخاصة إذا تذكرنا الجملة الافتتاحية المكررة، كما أسلفنا،

وليس صعبا امتلاك مفاتيح الوصول إلى هذا التأويل، إذ يختتم البرقية الأولى ببيّت:

«وأعشق عينيك مذ ألف عامْ.

والعدد لا مفهوم له، لكنه يدلّ على مصر.

وفى البرقية الرابعة يطلّ الانتماء:

«وأن انتمى / إلى مقليتك/. وأهجر كل المدائن/ كى أتحررّ فيك/ و.....»

ويكون الختام أمًا:

«وأحلم بالدفء تحت جناحيك»

ويكون الإفصاح أكثر وضوحا فى الخامسة استكمالاً للتطور العضوى فى النص الكلى، ففى داخل النص:

«وأعشق هذى المدينة. عينيك. من بين كل المدن»

«وحين افكرّ فى زمن طيّب غير هذا الزمنْ/ وأبحث عن وطن آمن/ أو سكنْ / تكونين انت تباشير هذا الزمن».

وتكون العودة إليها. فى الختام. : عودة من جميع المنافى».

لقد تطور الإحساس بالغربة والاغتراب عند شاعرنا عنه فى الديوان السابق، فصار الاغتراب قرين الحلم بالمدينة، ومدائن الشعراء متعددة الوجوه، وهذا وجه من وجوهها.

ويتضافر مع هذا التأويل عنوانات النصوص التى تكوّن النص الكلى، الديوان، من مثل:

الحصار، مسافر ولا أحد، غرفة أحلامى، غريبان.

بل إنه ليصرّح باسم المدينة حيث:

«ليْل القاهره» و «سفح الهرم» ، و «نهر النيل»، و«شراع هائم».

كما يطل الاغتراب صريحًا:

«غريبان/ قد أدمنا رحلة البعد والملتقى فى بلاد غريبه.

يسانده رمز «القطار» الذى يتردد كثيرا:

- وفى القطار.. لا أحد / وأنت فى القطار لا تنام فالناس فى القطار كلهم نيام - مسافر ولا أحد.

هكذا يتكرر «القطار» فى النص الواحد. بل فى عدة نصوص.

ويتكرر ذكر «القمر» ، و «الطفل»، و «الحلم»، على نحو يجعل شعور الشاعر بالهمّ الإنسانى الذى يتخذ من رمز الطفل» - الذى يتكرر كثيرا فى الديوان - يتعدى الطفل» الابن أو الابنة» إلى ما هو أعمّ وأشمل، وهو: الإنسانية والإنسان، كما تفصح نهاية قصيدة «عراقيه»،

- وأفضيّنا / بشىء لم يزل بالقلب والوجدان/ يحاول بعضنا قتله/ لأن العشق فى دمنا/ وفى أعماقنا الإنسانّ.

ويلعب التناص دورًا ملحوظًا فى مساعدة الشاعر فى توصيل رسالته إلى المتلقى، حيث تسافر كلماته إلى:

التتار - ملوك الطوائف - الجاهليون - السحّر - شقائق النعمان - :

«اسمحى لى أنّ أشق البحر شقًا / بعصا مو سى لكى أقرأ فصلاً/ من تسابيح كتابك».

«اسمحى لى أنّ أرى تاريخ عشقى...

«وحكايا شهر زادّ»

وبعض هذا التناص مسافر إلى النص القرآنى:

- ولا يزال فى كبَد.

أو الشعر التراثى : كالمستجير من الرمضاء بالعشق.

وهذا التناص ذو رسالة تفوق ما اقتصر على تسميته القدماء من:

استعانة، أو أخذ، أو توليد، أو حلّ، أو اغارة، أو نسخ، أو سلخ أو مسخ.. الخ.

والشاعر - كعادته - مشدود للنغم الكلاسيكى، والإيقاع العروضى الخليلى فى بعض قصائده، وهى قليلة مثل: طفلة الأمس:

طفلة فى مقليتها دهشة المغترب الفنان فى أرض جديدة وشرود الشاعر الملهم فى ليلة صيف وهو يجتّر نشيدهً، غير أن سائر الديوان مشدود إلى القالب الجديد، وهو قالب تعاود الشاعر فيه أشواق الموسيقا العربية التليدة، حيث يختار لنفسه قوافى داخلية مستغلاً طاقة الحروف، على

نحو ما نعرف فى نزعة الجرس الصوتى (Sigmatism)، ذلك التعبير المشتق من حرف السيجما اليونانى الذى يقابل حرف السين والزاى والتاء والصاد، أى أحرف الصفير صنع ذلك الشاعر «تنيسون»، وشبّهها «بإلقاء الأوزة خارج الزورق» لبروز صوتها وصداها، وقد استخدمها الشاعر «إدجار ألان بو» مستهدفًا إحداث تأثير حسىّ جميل، ومعلوم وجود مثل ذلك فى سينية البحترى، وسينية شوقى.

أما شاعرنا - عبدالجواد طايل - فلا يقتصر على توظيف حروف الصفير فحسب، بل لا يتوقف عندها كثيرا، وإنما يحاول أن يستغل طاقات «البديع» فنرى موسيقاه تردد:

شرقًا وغربًا - خطايا وخطايا - بفتح الخاء وضمها - فريده وخريده - تسللتْ وتخلفتْ،

ويظهر ذلك فى إطار التركيب الحامل بعض أصداء الحروف:

- وهدّ هدى مشاعر المسافر

- سياميّه / وملمسها الرخيم / رخامة السجادْ.

- وحاورى/ وناورى/ وكابرى / وجادلى/ وحاولى.

- تجاهلى هوا تفى / وقاطعى... / ومزِّ قى قصائدى.

وتوظيف عنصر الصوت أمر مهم، أدركه أدباء القرون جميعها، تحدث عنه الجاحظ فى تغييره عن: «أمر الصوت عجيب» فى الإنسانية والحيوان، بل طبقه الجاحظ فى أسلوبه القائم على موسيقية عجيبة فى البناء الموسيقى، فلا غرو / إذن - أن يدرك سره وكيميياءه الشعراء، ومنهم الشاعر عبدالجواد طايل.

لا تعتذرى

لا تهتمى بأحاسيسى
ونداء القلب المشتعلِ
والسُّهد الساكنِ بالأحداقِ
وبالمُقَلِ
فأنا لا أطلبُ منكِ قصيدةَ شعرٍ
فى الغزلِ
قد أبدو مضطربًا كالموجِ
وأصرخُ لكن دونَ صدَى
أستعذبُ كل مرارة هذا الحبِّ
ولا أشكو أبدا
لكنّى أستحلفُ عينيكِ بألاّ تنفَعلى

فأنا هَرِمٌ فى الحبِّ
وأنتِ بأولِ عامٍ لم تَزَلى!
وأنا أدمنتُ العُزْلةَ
والأحلامُ على أبوابى تتبخَّرْ
واعتدتُ بألا يأتى أى بريدٍ منكِ
وأحيانًا تسعينَ صباحًا
يتأخرْ
فأنا لن أغضبَ أو أعتبَ إن لم تَسلى!
أو إن أرسلتِ بكلِّ شتاء بعضَ سطورٍ
لم تصلْ!
أو إن ألقيتِ علىّ اللومَ إذا لم أكتبْ
بالعَجَلِ!
فأنا أعلمُ أن المرأةَ ترتاحُ كثيرًا
فى إلقاء اللومِ على الرجلِ!

****

لا تهتمى بتفاصيلى!
لا تعتذرى

فأنا لن أهربَ.. لا
هل أهربُ من قدرى؟!
ما أطولَ هذا الليلَ
وما أكثرَ إرهاصاتِ السَّفر!
وأنا أنتظرُ رنينَ الهاتفِ صيفَ شتاءَ
عسى أن تتصلى
- ولأمر ما
لم تتصلِى!!

****

لا تعتذرى!
يكفينى أن أعرفَ أخباركَ فى منتصفِ الشهرِ
منْ القمرِ!
يكفينى أن أستحضرَ كلَّ ملامحِك الراقدة
على أطرافِ وساداتى
من أول ساعاتِ فى الليلِ
لآخر خيطٍ فى السَّحَرِ!
وأنا أتذرع بالأملِ

رغمَ الحرمانٌ
وبرغم الزّمن المهدَرِ
والملل!
يكفينى أن أتصفحَ وجهَك كلَّ مساءٍ
أن أتأملَ فى عينيكِ الطفلةَ
واللونَ العسلى
وأنا أتفقدُ حافَظةَ الأوراقِ
وألبومَ الصوَر!
يكفينى أن أحلمَ بالوردِ الأحمرِ فى خديكِ
وبالعُذريةِ والخَجَل!
وبرائحةِ العطرِ الفواحةِ
فى ذوب القُبَلِ
يكفينى أن حروفكِ مازالتْ أغنيةً
تسكن فى مسبحتى
فى وَترى!

****

الحصار!

المدى بيننا.. رُبّما خطوتانِّ!
والزمان الذى يحتوينا معًا..
ثم يفصلنا
لا وجودَ لهذا الزمانّ
وندور ولا نلتقى أبدًا
حولَ نفسِ المكانّ!
والشعورُ اللذيذُ الذى لّفنا
لم يزلْ
مثلَ طفلٍ يتيم تسربَ من مهدهِ فى الظلامِ
الأمانّ!
فهوَ لاذاق طعم الطفولةِ ذاتَ ضُحى

أو صحا مرّةً

ذاتَ ليلٍ على لمسةٍ من حنانْ!

أنتِ واقفة خلف صمتِ النوافذِ تستطلعين عيونَ النهارْ

إنّما فى انكسارْ!

وأنا مُرغَمٌ

فملوكُ الطوائفِ قد أحكموا حولنا فى الصباحِ.. وعند

المساءِ الحصارْ!

وجيوشُ التتارْ

لم يخلّوا لنا غيرَ جسرٍ مُغطًّى بشوكٍ ونارْ

اسقطوا بالمدينةِ كلَّ القلاعِ

وما شيّدوا غيرَ هذا الجدارْ

فانتظارُ القطارْ

لم يعدْ مجديًا

غابَ أو آب فى لحظةِ الانتظارْ!

****

أنتِ مثلى أنا
كُلما لاحَ فجرٌ لنا
أو رنا
من بعيدٍ شعاعٌ وشقَّ صفوف الغُبارْ
أَسدَلوا فوقَ أحلامنا
ألفَ ألفِ ستارْ!
صادروا كلَّ حَرفٍ عن الحبّ.. كلَّ قصيدةِ شعرٍ
وكلَّ حوارْ!
هذهِ سُنّةٌ عند بعضِ القبائلِ فى الجاهليةِ
أو عند بعض الخوارج
أو عند بعض الصّغارْ!
عندما يلتقى عاشقانِ معًا
يحْلمانِ معًا
ويدورانِ حولَ الوجودِ البعيدِ
وخلفَ الفَضاءِ الفسيحِ
ويخترقانِ حدودَ المدى والمدارْ
يركُضُ الجاهليونَ كى يُغرقوا بالشواطىءِ

كلّ الزّوارقِ
كى يُشعلوا النارَ فى الماءِ عبرَ البحارْ!
يُصدرون أوامرَهم كلَّ يومٍ
فلا نقربُ الحبَ إلاّ بتأشيرةٍ
أو قرارْ!

****

مسافر.. ولا أحد!

مسافرٌ
وفى القطارِ.. لا أحدْ
وبين نكهةِ الصباح.. وارتعاشةِ الظلامْ
سحابةٌ
تمتدُّ ألفَ عامْ
وأنتَ فى القطارِ لا تنامْ
مُسَهَّدٌ إلى الأبدْ
ومُتعَبٌ
من أولِ الطريق للختامْ
تسيرُ فوق لجَّةٍ مُرتَعشًا ومُثقلاً
بكومةٍ من الركامْ

وتحتمى بموجةٍ من الزَّبدْ
وخيمةٍ بلا وتدْ
لا صوتَ.. لا حياةَ.. لا سلامَ.. لا كلامْ
ولا مددْ!
فالناسُ فى القطارِ كلهم نيامْ
وأنت تمضغُ الرتابةَ التى تسللتْ إليكَ
فى جَلَدْ!
لا شئَ رغمَ شدّةِ الزّحامْ!
وكثرةِ العددْ!
فكل ما تلمسُ باردٌ... وخامدٌ
لا روحَ فيه تقشعر مرةً واحدةً
أو ترتعدْ!
برغمِ أن امرأةً ساحرةً تزينتْ
وراودتكَ ألفَ ألفِ مرة عن نفسها
لكن ثوبها الأنيقَ والمساحيقَ التى بكل خَدّ
وفتنةَ القوامْ
لا تستثيرُ وجدَ شاعرٍ مضى

يبحثُ خلفَ الأفقِ عن نجيمةٍ بعيدةٍ
أو قمرٍ يسترُ عاشقينِ قد تجرَّدا
إلا من الغرامْ!
ويمتطى كالحالمينَ بالخلودِ صهوةَ الغمامْ!
ولا يزالُ فى كَبَدْ!
فهذه الغانيةُ التى تهيأت لتسرقَ الشبابَ منكَ
نصفُها رخامْ!
ونصفُها جَسَدْ!

****

مسافرٌ ولا يزالُ دونَ رفقةٍ
بالليلِ والنهارْ!
إلاَّ من الظَّما ومن صدى الصفيرِ
حين توشِكُ انطلاقةُ القطارْ
ومن سحابةِ الدخان والبخارْ
ومن جريدةٍ قديمةٍ مُهملَةٍ
تآكلتْ حروفُها
ونام فوقَ صدرِها الغبارْ

ولم يزلْ يجول فى سطورِها البعيدةِ المَدى
بنظرةٍ شاردةٍ
ودمعةٍ بلا صدى!
ولم يزلْ يضمُّها
كأنها حبيبةٌ قد اقبلتْ
من بعد ما تمنّعتْ
يرشُّ قُبلةً على ضِفافِ ثغرِها الرطيبِ
من لظىً ونارْ
ويرتمى
من بعدِ أن تفرّقا - بصدرِها
مُجدِّدا
ويرتوى من دفقة الحنانِ والنّدى
مصوبا عينيه فى انبهار!
مُعربِدا
من بعدِ أن تجاوزَ الوشاحَ والخِمارْ
وجاوزَ الإزارْ
ولم يزلْ يجترُّ ذكرياتِ أمسِهِ الذى غدا

بلا قرارْ
وفوقَ مقعدِ القطارْ
تمدَّدا
واغرورقتْ عيناه بالدموعِ فى انكسارْ
يبكى على أطلال حُلمه الذى تبددا!

****

"الفراشةُ واللهب"!

توثّبى

توثّبى

وخفّفى

منَ تَعبى

وهدهِدى

مشاعَرِ

المسافرِ

المُغتَرِبِ

ورجّعى

أصداءَ

لحنِ

شاعرٍ

مُعذَّبِ

يا هالةَ

الضّياءِ

حولَ

منجم

من ذهبِ!

أتعرفينَ

من أنا

ومن

تراهُ

نسَبى

أنا ضميرُ

الحبِّ

فوقَ

متنِ

هذا الكوكبِ!

رسالتى

معزوفَةٌ

من الهوى

والأَدَبِ

ودعوتى

قصيدةٌ

مُفعَمَةٌ

بالطَرَبِ

وقصّتى

ملحمَةٌ

على شفاهِ

الكتبِ

تدعو

جميعَ

الكائناتِ

رُبّما .. للعجَب

أنا الفراشةُ

التى

تحومُ

حولَ اللّهبِ

وكُلّما

تحرّقَتْ

وأصبَحَتْ

كالحَطَبِ

تطلُبُ

ألفَ

جذوةٍ

مُلِحَّةً

فى الطّلَبِ!

أنا الشراع

فى خضمٍّ

مائج

مُضطربِ

وأنتِ
زورقُ
النجاةِ
أسرِعى
واقتَرِبى!

غداً.. يا صغيرى!

غدًا يا صغيرى

أعودُ إليكَ بكلِّ الذى تشتهى

من هدايا

وإن كنتُ أشعرُ أن آغترابىَ عنكَ

خَطايا

وقلبى يُعنّفُنى.. وضميرى!

كأنىَّ على شفةِ الوجدِ أمشى

وتركضُ فوقَ دموع الحنينِ

خُطايا

وأسألُ نفسى

تُرى كيفَ أمضى

وكلّ حروفِ اسمِكَ العذبِ ترقُصُ كالنبضِ

خلفَ الحنايا

وكيف يكونُ مصيرى؟!

ومن سيَقص عليكَ بكلِّ مساءٍ

كما كنتُ أسردُ

بعضَ الحكايا؟!

ومن سيردُّ عليكَ الغطاءَ

وُيغلقُ شُباكَ غُرفةِ نومِكَ

فى زمهريرِ الشّتاءِ

ويطبعُ فوقَ جبينكَ صوبَ الضُّحى

قُبلَةً من حريرِ

وأسمعُ صوتَكَ.. همسَكَ - لغوَكَ

ينسابُ فى مَرَحٍ كالغديرِ

خلالَ الأثيرِ

فتبكى ضلوعى

وتنهارُ فى مُقلتىَّ دموعى

وتجنحُ نحو الخيالِ البعيدِ

يدايا!

تربِّتُ فوقَ الجبينِ برفقٍ

تُقبّلُ وجهَكَ هذا الذى صارَ

كالقَمرِ المستديرِ!

ويوقظنى فجأةً من خيالى

ملامحُ وجهىَ خلفَ المرايا

لكى أتذكّرَ أنّى بعيدٌ

وأنّ الليالى تمرُّ علىَّ

بغيرِ أنيسٍ

ودون جليسٍ

وأنىّ أُحدثُ نفسى كثيرًا

وأحتَضِنَ الوهمَ فوقَ سريرى

كمثلِ الأسيرِ

وأنىّ تجاوزت أسوار عمرى

بألفِ زمانٍ

وبتُّ على جمرةٍ أتقلّب كالمستجيرِ!

****

غدًا يا صغيرى

ستعرِفُ أنَّكَ أنتَ الأَمَلْ

وأنىّ أعيشُ

لتنفضَ عنىّ غبارَ المَلَلْ!

وتدرِكَ أنّى برغم كؤوسِ الزمانِ المريره

ورغم الشجونِ

ورغم الحياةِ العسيره

ورغم وعورةِ بعضِ السُّبلْ

فإنى أبيتُ وأصحو بنفسٍ قريره

ولمّا أزلْ

أفكّرُ أنّك تحملُ إسمى

وأنك سوف تصيرُ غلامًا وسيمًا

ويمضى خيالكَ فى البحث عن لحظاتٍ

مثيره

وتشغَلُ قلبَ فتاةٍ صغيره

وتحلُمُ أحلامَ كلِّ فتىٍ

بطلعتها.. وابتسامتها

وشكل الرداِء

وطولِ الضفيره

ولونِ المُقلْ!

وتكتبُ أحلى القصائدِ فيها

كأنَّ أميرًا أحبَّ أميره

فصار أسيرًا

وصارت لديه أثيره!

وتحكى لنا بينما نتجمّعُ حولَ الطعامِ مساءً

بمائدةٍ مستديره

وفوقَ جبينكَ لما تزلْ

مِسحَةٌ من خَجَلْ

وحينَ تشبُّ عن الطوقِ يومًا

وتُدرِكُ أبعادَ كلِّ صغيره

وكلِّ كبيره

ستُصبحُ فى البيتِ أو خارجَ البيتِ

أنتَ الرَّجُلْ!

****

غدًا يا صغيرى
ستأخذُ كفى لكى أتوكّأَ يومًا عليكَ
وأُفضى بأسرارِ عمرٍ طويلٍ إليكَ
وأرقُص مَنتشيًا حينَ ألمحُ لَونَ السعادةِ
فى مُقلتيكَ
وطعمَ الأمانى على شفتيكَ
كأنىّ أنا أنتَ
أنتَ أنا
كأنّا صديقان لمَا نزَلْ في سنىِّ الشبابْ
ولما نزلْ نتجاذبُ أطرافَ عذب الأحاديثِ
عند الذهابْ
وعند الإيابْ
وأفتح قلبى لكى تتصفّح أعوام عمري
وتمخرَ أمواجَ هذا الكتابْ
وتأخذ من كلِّ تجربةٍ صفحاتٍ لديكَ
ومن كلِّ فصلٍ
ومن كل بابْ

****

إلى طفلتى ريـم

حينما تَبتَسِمْ

وعلى وجهها باقةٌ حلوةٌ

ترتَسِمْ

وأنا مُجَهدٌ بعدَ يومٍ طويلْ

من عناءِ التمزُّقِ ما بينَ جيلٍ

وجيلْ!

والصمودِ الذى جاوز المستحيْل

تستحيلْ

الدموعُ التّى بلّلت وجنتى

والألَمْ

والهمومُ التى أرَّقتْ مُقلتى

والنّدَمْ

ألفَ حُلمٍ جميلْ!

وأنا لم يَزلْ كاهلى مُثقلاً

كالعليلْ

رافضًا رغمِ تعتيمِ كلّ السُّبلْ

أن أسيرَ إلى الخلفِ أو أن أُسلّمَ

أو انهزمْ

أو أميلْ!

****

حينما أستَهِلُّ الصباحَ الجديدَ

بهذا الثغاءْ

باسطًا راحتىَّ تجاهَ السماءْ

يُستجابُ الدُّعاءْ

وتُذَلَّلُ كلُّ الصعابِ التى بالطريقْ

بعدَ عُسرٍ.. وضيقْ!

وإذا أوشكَتْ خطواتُ المساءْ

واجتمعنا على موعدٍ للعشاءْ

كسَرَتْ صمتنا - فجأةً

كالصَّديقْ!

وأطلَّتْ بفطرتها كالرحيقْ!

فأضافت إلينا الكثيرَ المثيرَ وأضفَتْ

على تمتماتِ اللقاءْ

لمحةً كالبريقْ!

فاستعدنا الصِّبا

والربيعَ الوريقْ

واستدَرنا نودِّعُ غيمَ الشِّتاءْ!

****

حينما يُسدِلُ الليلُ أستارَهُ
فوقَ جُنح الظلامْ
وهى تهتزُّ يقظى ـ بأرجوحةٍ ـ
كى تنامْ
وأنا أتمدَّدُ فوقَ الأريكَةِ
مستأثِرًا بالتعبْ
شاردًا بخيالى بعيدًا .. حزينًا
لألفِ سَبَبْ
أو بغيرِ سببْ
يَهدأُ الجرح فى داخلى
ويموتُ الغَضَبْ!

****

حينَ يمتدُّ هذا الحوارُ الذى قد بدا بيننا
بابتسامْ
ساحرًا كالذّهبْ
ناعمًا كالزغَبْ

سائغًا كالطربْ

رائقًا

شائقًا

كهديلِ الحمامْ!

كمناجاةِ قلبينِ فى العشقِ ذابا

بغير كلامْ

وبغيرِ خُطَبْ

طفلتى التى لم تزلْ - بعدُ - فى مهدِها

منحتنى جميعَ الذى لم أجدْ

بينَ كلِّ الكُتُبْ

والذى لم أَنَلْهُ خلالَ الزّحامْ

من أمانٍ ومن أمَلٍ

وسلامْ!

****

قدر

لو كنتَ أستطيعُ

أن أذيبَ فى عيونكِ القَمَرْ!

لو كنتُ أستطيعُ

أن أرُشَّ فوقَ وجهك ابتسامةَ السَّحَرْ!

لو كنتُ أستطيعُ أن أطيرَ كالنوارسِ التى تمرسَتَ على السفرْ.

لو كنتُ أستطيعُ أن أسخِّرَ الرياح

أن أفجِّرَ العيونَ فى القفارِ

أن تكونَ لى وصاية على المَطَرْ!

لو كنتُ أستطيعُ ما انتظرتُ نصفَ لحظةٍ

مُبتَعدا!

ولا تخذتُ منكِ معَبدا

لكننا مُسيرونَ دائمًا مع القضاءِ والقَدَرْ!

****

يامن أعدتِ للقصيدةِ البليدةِ الملامح

التوهُّجا!

وعانقت دموعكِ الشفيفةُ العذراء أدمعى

والليلُ قد سَجَا!

فماجتِ المشاعرُ الظّماءُ فى عروقنا

وسافر الفرحُ بها

واختلَجَا!

وشفّتِ النفوسُ بعدَ عتمةٍ مُبَهَمةٍ

كعتمةِ الدُّجى!

فأسفرَ الصباحُ باسِمَ النّدى

مرفرفًا

وانَبلَجا!

كأنهُ شقائِقُ النُّعمان أو كأنهُ

خميلةٌ.. تفتحتْ

بنَفسَجا!

يامَنْ غَمرتِ أرضىَ القاحلةَ الجدباءَ

بالمياهِ والكَلا!

وحوّلتْ عيناكِ قلبىَ العصىَّ

راهبًا

فى خلوةِ المساءِ قد تبتَّلا!

ولم يزل عن سائر الوجودِ عازفًا

وذاهلا!

ولم يزل مُبتهلا!

فقد أقامَ فى الضلوعِ من حروفِكِ الرشيقةِ القوامِ

هيكلا!

وباتَ ليلةُ الرتيبَ يرصدُ النجومَ

حالمًا .. مُعلّلا!

يرنو إلى العلا!

يكادُ أن يذوبَ لوعةً كشمعةٍ

توهّجتْ.. وانصَهَرتْ

والليلُ ما انجلى!

يودُّ أن يجَهرَ باسمِكِ الأثيرِ فجأةً

على الملاَ!

لكنّهُ يخافُ أن يبوحَ مرّةً

فَيُقتلا!

****

عراقيّه

عراقيّه

ومن بغدادْ

وتخفى فى جدائِلها

رحيقَ الأهلِ والأجدادْ

وقامتها بها شمَمٌ

وإحلالٌ

وذاتيّه

وبسمتها

على الشَّفَتين أمنيَّةَ!

وقد ألقت تحيَّتها الصباحيةَ

كطفلٍ رافلٍ فى حُلَّةِ الأعيادْ!

ملامحها

ملامحُ قطةٍ بيضاءَ

سياميةْ!

وملمَسُها الرخيمُ رخامةَ السّجادْ

يثيرُ كوامنَ الإغراءْ

ويوغرُ صدرى الظامى

إلى الإغواءْ!

ومازالتْ مفاتنهُا الخرافيةْ

ومن أهدابِ عينيها

إلى أعطافها الرغداءْ

تُشيعُ النشوةَ المجنونةَ الحمقاءْ

بكلِّ ملاَمحِ الجسَدِ!

وتدعو كلَّ نبضٍ فيهِ للإشفاقِ والحَسَدِ!

لأفصحَ عن أحاسيسٍ شتائيه

وفَدتُ بها إليَّ بغدادْ

لكى أزدادْ

وأشربَ نخبَ أشواقٍ

من الخمر الفراتيّةْ!

وأرسُمَ كلّ لوحاتى

مُجرّدةً

وعاريةً

بلا وَجَلٍ

ودون حياءْ!

وأرجعَ نحو آلاف من السنواتِ

قبلَ البدءِ.. والميلادْ

كأولِ ما بدت حواءْ

هلى أرض الحضارتِ البدائيةّ!

****

عراقيةّ

وقد أبصرتُ فى أحداقها قلبى

وعينىَّ

فذابَ النيلُ فى دجله

وقد مدَّت يداً

فمددتَ كَفّىَّ

فأبحرنا

وكان شراعنا قُبلَةً

وعدنا مثلما كنَّا

ونحنُ صِغارٌ

بلا قيدٍ

بلا أسوارٌ

أربّتُ فوقَ خدّيها

وبينَ أناملى خُصلةٌ

وقد أبصرتُ حولىّ

بمرآةٍ على الجُدرانْ

مُعَتّقَةٍ من الأحزانْ

دموعًا فوقَ خدَّىَّ

تبللُ فُلّةً مغروسةً فى عروةِ الفُستانْ

وشالاً مسدلاً كالليلِ منُسابًا

كذيلِ حُصانْ

تَمَطىَّ فوقَ كتّفَّى

لأدركَ أننى طِفلٌ

وأنَّ حبيبتى طِفلَةٌ

وأنّا من قديمِ العهدِ والأزمانْ

تلاقينا

برغم القهرِ والحرمانْ

ورغم الحظرِ والعزلةْ

وأفضينا

بشئ لم يزل بالقلبِ والوجدانْ

يحاولُ بعضنا قتلهْ

فلم يفلحْ

لأن العشق فى دمنا

وفى أعماقنا الإنسانْ!

هذه الرساله!

قبلتها

عشرينَ قبلةً

وكأننا

طفلٌ.. وطفلةٌ

وكأنَّ فى فمها

رحيقَ سُلافةٍ

من خمرِ دجلةَ

وكأن فى أهدابها

ليلاً

تسوَّر كلَّ مقلهْ

وكأنَّ فوقَ جبينها

المتورِّدِ الشفقىِّ

خُصَلهْ!

قبلتها

وأنا أتمتمُ باسمها

فى كلِّ قُبْلَهْ!

وتهلّلتْ

قسماتُ وجهى

حينما لَمحتْ.. سحرْ..

فى ذيلِ فستانِ الرسالةِ

أشرَقتْ

مثلَ القمرْ!

السينُ

سرٌّ عبقرى أنتِ

فى سفرِ القَدَرْ

والحاءُ

حالى.. والليالى

قلبُها مثل الحجرْ!

والرّاءُ

رُدَّتْ مُهجةٌ حيرَى

وقلبٌ منكَسِر!

****

عانقتُها

وكأنّ بينَ سطورِها الفيحاءِ

أنتِ!

ودعوتها

فتجاوبتْ

ونمتُ كعُشب فوق صوتى

وتحدَّثَتْ

فسمعتُ فى نبراتها

أصداءَ صمتى!

وتشابكت أهدابنا

وارتاحَ سَمتٌ فوقَ سَمْتِ

وغفوتُ والأحلامُ مُبحِرةٌ

كمجدافٍ

وبخْتِ!

****

وَوَضعتُها

تحتَ الوسادةِ

والهواجسُ ملءُ رأسى

الناسُ تحلمُ بالغدِ الآتى

وقد أدمنتُ أمسى

شردتْ جميعُ خواطرى

واستسلمتْ

للسُّهد نفسى

وتحوّل الصمتُ الرهيبُ

لصوتِ ناقوسٍ

وجرْسٍ

وأنا أقاومُ بينما الأشواقُ

قد فاضتْ بكأسى!

****

وزفرتُ أنفاسى

فنامتْ فوقَ وجناتِ الورَقْ

فترنحتْ.. سكرى.. مشاعرُها

وذابتْ.. كالشّفَقْ

وكأنّها

خفقاتُ قلبٍ.. فى جنونٍ

تستبقُّ!

وكأننا

جسدانِ فى جسدٍ

وروحٌ تحترقُ

وكأننا

للآنَ رغمَ وداعنا

لم نفترقْ!

***

سهاد!

وحينَ يهلُ علينا المساءَ

وأجلسُ منفردًا.. وحزينًا

بلا أصدقاءَ

أطالعُ بعضَ سطورِ الجريدة!

وأنتِ.. كما أنتِ مثلى.. وحيده!

تطلينَ من شرفةِ الليل مثل الأميرة فى كبرياءَ

فتبدينَ رغم المسافاتِ بينى وبينكِ

رغم الغيومِ الكثيفة

رغم رياح الشتاءَ

وساماً ولؤلؤةً فوقَ صدرى

أرقُّ وأجمل من ألفِ ألفِ قصيدة!

وأحلى من القمرِ المتألقِ كالتاجِ فوق جبين السماءِ!

***

أحبك والليلُ يطرقُ أبوابَ صمتى

وعيناى تستعذبانِ السهادْ

فلم يبقَ فى عالمى غيرَ أنتِ

ولم يبق فوقَ فمى كلماتٌ ترددُ

إلا .. سهادْ ..!

ولم يبقَ إلاّ دموعٌ تراودنى كلّ ليلٍ

فقد أدمنتْ مقلتاىَ البكاءْ

كما أدمنت صفحاتُ الدفاترِ لونَ المدادْ!

***

أحبُّكِ كم مرةٍ قلتها لستُ أدرى؟
وماذا تساوى الحياةُ بدونكِ
ياكلَّ عمرى
وماذا أساوى أنا دون عينيكِ
حينَ تطلانِ كالبدرِ والليلُ يسرى
وحينَ أضمّك لى طفلةً وامرأة
وأحنو عليك - كمن يتأملُ - فى دهشةٍ
لؤلؤه!
وأطبعُ فوقَ جبينكِ قبلةً
فأبدو كأنى لأوّلِ وهلةً
أقبل طفلةً
وأرسم فوقَ ابتسامةِ ثغركِ ثغرى!
وأنثر فوقَ شفاهكِ باقاتِ شعرى!
وألقاكِ ما بينَ مدٍ وجزرٍ!

لنبدأ أحلى وأجملَ رحلةْ!

****

أحبكِ أنتِ

سلىِ النهرَ إن شئتِ حينَ يمرّ بطول وعرضِ البلادْ

عن السرِّ فى لوعتى واشتياقى

وأنتِ معى

فما بال قلبى وقد مزقتهُ الثوانى

خلالَ البعادْ!

فذاكرتى لم تعد تتحملُ أى حروفٍ

وحافظتى لم تعدْ تتذكرُ غير «سهاد»!

إلى امرأة جميلة جداً

تمردى فمنكِ يا حبيبتى أستعذبُ التمرُّدا!

ثورى أو استمرى فى عنادكِ الجميل

كلما الحوارُ بيننا تجدّدا!

ما أجمل اشتعالكِ الذى يزيد وجهكِ الرقيق كالندى

توردا!

واقتربى إن شئتِ أو فابتعدى

فإننى مسافرٌ، بمقلتيكِ دائمًا

لآخرِ المدى!

وحاورى

وناورى

وكابرى

وجادلى

وحاولى

أن تحرقى قلبى وأن تُقاتلى

مشاعرى!

بكلِّ ما أوتيتِ من وسائلِ!

لا ترحمى

إذا شكا قلبى إليكِ أو إذا تألّمتْ روحى

ولا تستغفرى!

إذا جلدتِ بالعتاب كاهلى!

تمنّعى.. وأعرضى

صدّى متى أردتِ أو تدلّلى

وكيف لا وقد غدوتُ مدمنًا

للصدّ والتدلل!

وكيف لا وقد عرفتِ أنتِ أنّنى مبعثرٌ،

ولا أكاد أن أفيقَ من هو اكِ لحظةً

ولا أكاد أن اكونَ مُدركًا لآخرى من أولىِ

وكيفَ لا وأنتِ تعلمينَ أننى أكاد أن أموتَ لوعَةً

إن اعتذرتِ مرّةً أو فجأةً

لم تقُبلى!

وإن توسَّلتَ إليكِ أدمعى

لا تقبلى توسُّلى!

وإن تبتلتَ مشاعرى جميعها تقربًا إليكِ

لا عليكِ من تبتلى!

وانفعلى

وافتعلِى

حكاية جديدةً أو قصَّةً غريبةً

وضاعفى مشاكلى!

وماطلى

إذا طلبتُ موعدًا

أو اذهبى إليه فى تثاقُلِ!

وإن ذهبتُ ذاتَ مرّة أنا بغير رجعَة

لا تسألى!

وإن غضبتُ وادعيتُ أننى مُسافرٌ

وعاتبتكِ مُقلتاىَ فى تململِ!

أرجوكِ لا تسامحيهما!

ولا تصدقيهما

ولا تجامِلى!

فأنتِ تَسكنينَ منذُ أن تشكلَ الوجودُ يا حبيبتى

بداخلى!

***

تجاهلى.. هوا تقى

وقاطعى حديثى المملَّ كلما بَدا

فما الذى يضيرُ من تجاهلى؟!

ومزّقى قصائدى

إن شئتِ حينما أزفّها إليكِ

أو أصبُّها جدا ولاّ

على شفا رسائلى!

قولى بأنَّ كلَّ ما كتبتُه إليكِ يا حبيبتى مكررٌ

وطالما سمِعته

من سادةِ القبائلِ

قولى بأنّ كلَّ من تقربوا إليكِ أذعنوا

ولم تزل جروحهم عميقةً

من كثرةِ البكاءِ والتذللِ!

فما الذى يدعوكَ للتفاؤلِ؟!

وما الذى يُغريكَ بالوقوع فى حبائلى؟!

قولى ولا تنزعجى

وردّدى الكلامَ ألفَ ألفِ مرةٍ

وواصِلى

قولى فأنتِ يا حبيبتى.. حبيبتى!!

وأنتِ أنتِ امرأةٌ جميلةٌ جدًا

فلا يليقُ أن تُساءَلى

ولا يجوز يا حبيبتى بأن تُقارنى بسائرِ النساءِ

فى الجمالِ والدلالِ والطباعِ

والشمائلِ

****

«غرفةُ إحلامى»

عانقينى... واحتوينى

وامسحى.. فوقَ جبينى

ودعينى

أقتل الشّك بسيفٍ

من يقينِ!

وتعالىَ نسترحَ

بعدَ أسى

ماضٍ حزينِ

لمَ أعدّ أحتملُ الإبحارَ

من غيرِ سفينِ

فرّتِ الأيامُ من صفحةِ عمرى

وسنينى

وأنا مازلتُ لا أفهمُ شيئًا

صدقينى!

إشرحى لى الآن ما استعصى

هلمىّ..

أفهمينى!

آهِ ما أجهلنى فى العشقِ.. هيّا

علّمينى!

هذه غرفةُ أحلامى.. فروحى

أيقظينى

بدِّدى وحشَة هذا الليلَ

دُبىِّ فى سكونى

كم قَسَا الدهرُ على قلبى

ووجدانى

فلينى!

حدّثينى

قولى أهواكَ

إلى حدِّ الجنونِ!

****

حدّقى فى شفتى الظمأى

وفى لونِ عيونى

سارعى نحوى.. وضمينى.

فبى ألفُ حنينِ

لذراعيكِ

وللموتِ على صدرٍ حنونِ!

وأنا أعزفُ أحلى

أغنياتٍ

ولحونٍ

كلما جالتْ بأسرارِكِ

أطرافُ يمينى

هامسًا باسمِكِ من حينٍ

لحينٍ!

مثلما الأطفال فى أوّلِ عامٍ

هدهِدينى

أنا طفلٌ

قد توسّدتُ من المهدِ

ظنونى

فأزيحيها بعيدًا

دونَ عينيكِ

ودونى

رجِّعى لى الدهشَةَ الأولى

وهزِّى لى

غصونى

أدبَرَ العمرُ فهيّا

عانقينى

عانقينى!

****

إسمحى لى....!

إسمحى لى
أن أضمَّ الشمسَ فى كفىِّ وألقيها
على أعتاب بابكِ
إسمحى لى
أن أذيب القمر المفتون شوقًا
بين طياتِ ثيابكِ
إسمحى لى أن أشق البحرَ شقًا
بعصا موسى لكى أقر فصلاً
من تسابيح كتابكِ!
إسمحى لى
أن أحلّ الآن ضيفًا أنا والعشقُ.. ونبقى

كغريبينِ استظلاَّ برحابكْ!
إسمحى لى
أن أرشَّ الأرضَ من تحتكِ عطرًا
ثمَّ أمشى مُحرمًا
فوقَ ترابكْ!
إسمحى لى
لحظةً واحدةً بالموت فى صدركِ مصلوبًا
وفى صدرى بقايا
من حرابكْ!
آهِ ما أجملَ هذا الشيبَ فى رأسى
وقد أصبح طفلاً
فى شبابكْ!
أنا لو عاتبتُ كلَّ الناس ما جدوى.. وما معنى
عتابكْ!
أنا لو حاسبتُ من أخطأ فى العشقِ فأردانى قتيلاً
ما تجرّأتُ على لومكِ يومًا..
أو حسابكْ!

لم أعدْ أشعرُ بالنشوة إلاّ حينما أشرب كأسًا
إثرَ أخرى
من عذابكِ!

****

إسمحى لى
مرّةً واحدةً بالغوصِ فى أعماقِ ذاتِكِ!
كى أصيدَ اللؤلؤَ الوادعَ كالأحلام
والمخبوَ ما بين ثنايا صدفاتك!
أنا ظمآنٌ.. ولا أرغبُ فى كاسةِ خمرٍ
أنا ظمآنٌ إلى شربة ماءٍ
من فراتكِ!
ما حياتى إن خلتْ من قمرٍ حانٍ تجلّى مشرقًا
فى قسماتكِ؟!
ما حياتى إن بدتْ صحراءَ لا أمطارَ فيها
وخلتْ ليلاتها
من قبلاتكِ؟!
لم يعدْ عندى رواياتٌ.. فلم تبقَ سوى بعض بقايا

ذكرياتكِ!

لم يعدّ في خاطري غير شعاعٍ سرمديٍّ

نابعٍ من ضحكاتكِ!

أنتِ أمسيتِ وأصبحتِ حكاياتي وشعري

أمنياتي سافرت في أمنياتكِ!

آه لو تدرين يا حبةَ قلبي

كم أنا أعشقُ.. حتىّ.. لغةَ الطيرِ التي يبدو صداها

ماثلاً في تمتماتكِ!

إنقذيني.. من جنوني

واجعليني خفقةً من خفقاتكِ!

إسمحي لي

أن أرى تاريخَ عشقي مثبتًا بعد رحيلي

في زوايا صفحةٍ واحدةٍ

من صفحاتكِ!

****

لولا أنت....!

يا سيدتى

لولاك لجفَّت كلُّ ينابيع الأنهارْ

وارتسم الموتُ على قسماتِ الأفقِ

وهاجرت الأمطارْ

وانكسرَ الضوءُ فلا الشمسُ ابتسمتْ بالصبحِ

ولا دارت بالفلك ـ مجراتُ الأقمارْ!

لولاكِ لما صارت لغةٌ بينَ العشاقْ!

قُبلٌ.. وعناقْ

وقصائدُ شعرٍ تتمردُ فوقَ الأوراقْ!

لولاكِ لأصبحَ بين الحبِّ وقلبى آلافُ الأسوارْ!

****

يا سيدتى

يدفعنى حبُك للمجهولِ وللإبحار إلى الأعمقْ

يجعلنى أعشق موجَ البحرِ وأسبحُ نحوَ الموتِ

ولا أغرقْ!

يجعلنى أعتنقُ الأحلامَ .. وإن فرّت مثلَ الزئبقْ

يجعلنى أهربُ منكِ إليكِ

وقلبى طفلٌ يتمزقْ!

سيدتى أنتِ.. ومولاتى

قمرى فى اليلِ.. ومشكاتى

أعترفُ بأنىّ لولا أنتِ لجفَّ الدمعُ بأحداقى

وغدوتُ بلا قلبٍ يخفقْ!

****

يا سيدتى

يجعلنى حبّكِ كالأطفالِ بيومِ العيدْ

أحلمُ بالحلوى والألعابِ الناريه

وبضوءِ الفجرِ المفعمِ بالنسماتِ الصيفيّه

وبكلّ جديدْ

يجعلنى حبك كالعصفورِ على الأشجار

وكالتغريدْ!

أغدو وأروحُ بغيرِ قيودْ

أتنسمُ عطرَ الحريةْ!

****

يا سيدتى

يدفعنى حبكِ للتجديفِ بعيدًا عن كلِّ الشطآنْ

يحملنى فوقَ رحيقِ الزهرِ

وفوق دموعِ الأحزانْ

يغرسنى بينَ الأقمارْ

ينقشنى فوقَ الأمطارْ

يرسمنى مثلَ خيوط الشمسِ على قسماتكِ

كلَّ ضحىً

بخيال الشاعرِ والفنانْ!

****

يا سيدتى

يغرينى حبُّكِ أن أطرقَ

كلَّ الأبوابْ

أن أقرأ فصلاً من قصصِ العشاقِ

بكلِّ كتابْ

يغرينى لونُ الذهبِ ولن الخمرةِ

فى بشرتكِ السمراءْ

يمنحنى تذكرةً للهجرةِ فيكِ

وللتحليقِ قريبًا من عينيكِ.. وللإسراءْ!

****

يا سيدتى

يجعلنى حبُّكِ فصلاً مختلفًا جدًا

عامًا.. يتميز عن كلِّ الأعوامْ

تسكنُهُ الأنجم والأقمارُ وتنبتُ فيهِ الأحلامْ!

يأخذنى للزمنِ الأوّلْ

لبراءةِ عينيكِ الأجملْ

يأمرنى للإبحارِ إلى أقصى مرفأْ

بحثًا عن قوقعةٍ حيرى

حُبلى بعناقيدِ اللؤلؤْ!

وأنا كالصائدِ أتهيأْ

كى أقطفها .. فى العتمةِ

والناسُ نيامٌ!

****

أقسم أنى!!

أقسم أنى

ما أحببتُ كما أحببتكِ

يا مولاتى

أقسمُ أنكِ أنتِ الأمس وأنتِ الحاضرُ

والمستقبلْ

أقسمُ أنكِ بين جميع نساءِ العالمِ

أنتِ الأجملْ

أقسمُ أنّى حينَ تطاوعنى كلماتى

أو أتأملْ

ألمحُ وجهى فى عينيكِ وتصبحُ مرآتكِ مرآتى

أصبحُ طفلاً يتعلقُ بالزمن الأولّ

يلعبُ.. يلهو بكراريسِ الرسمِ وبالألوانِ

وبالفرشاةِ

لا يتعلمّ

إلاّ أن يرسمكِ امرأةً فى ذاكرةِ الزمنِ الآتى

****

أقسمُ أنىّ

قد أصبحتُ وأنتِ بقلبى شيئًا آخرّ!

رجلاً آخر

أركضُ مثلَ الخيلِ وأرقصُ مثلَ الطيرِ

وأعشقُ مثل الشاعرّ!

أوشكُ أن أمتلكَ الدنيا

فى كفىَّ

حينَ أضمكِ بينَ يدىَّ

ويغطينى من رأسى حتىّ قدمىَّ

موجٌ من شلالٍ هادرّ!

أقسمُ أنكِ أنتِ الفرحةُ فى عينىَّ

أنتِ البسمةُ فى شفتىَّ

أنتِ الفتنةُ والإلهامُ

وفيضُ الخاطرّ!

****

أقسمُ أنى قبلَ الأمسِ

وقبلَ الآنّ

كنت أسيرُ .. أسيرَ اللوعةِ

والحرمانّ!

كنتُ رفيقًا كلَّ مساءٍ للأوهامِ

وللأحزانّ

كنتُ أفتّش عن عينيكِ بمنتصفِ الشهرِ العربىّ

فى شوالَ.. وفى ذى الحجّةِ

فى ضوءِ القمرِ العذرىِّ!

كنتُ أفتّش عن رائحةِ الفُلِّ

وأعوادِ الريْحانْ

وعن اللؤلؤ والمرَجانْ

وعن المطرِ القادمِ من شرفاتِ العشقِ

بأوّل فجر فى نيسانْ

وعن الوجهِ الفرعونىّ

وعن القسماتِ المنظومةِ فوقَ ملامِحِكِ المرسومةِ

فى إبداعٍ ربانىِّ!

****

أقسمُ أنّى لم أتمرس قبلَ الآن

على الأشواقْ

أقسمَ أنىّ لم أرسم من قبل.. امرأةً

فوقَ قصاصاتِ الأوراقْ!

أقسمُ أنّى لم أحترف السُّهدَ لأكتبَ - كلَّ مساءٍ -

مائةَ بيتٍ

فى لونِ وسحرِ الأحداقْ!

أقسم أنكِ

صرتِ كتابَ العشقِ الأولْ

أقسمُ أنّكِ

صرتِ قصيدةَ شعرٍ تولدُ كلّ صباح

كى تتدللْ

مثلَ ترانيمِ العُشّاقْ

أقسمَ أنّكِ أنتِ الشمسُ

وقبلكِ كان العمرُ خريفًا

والأحلام شتاءٌ

والأيام بلا إشراقٌ

****

أكتبى لى.....!

أكتبى لى

كلما أوشكَ أن يصبحَ فى لونِ خُصيلاتِكِ

ليلُ القاهره!

وصِفى لى

مرحَ العشاقِ تحتَ الإنجمِ

والعباراتِ التى تُنقشُ للتاريخِ والذكرى

بسفحِ الهرمِ!

والأمانىَّ التى تجرى على كلِّ شفاهٍ وفمِ!

ولقاءاتِ المحبينَ التى تبدأ بعد العاشره!

وارسمى لى

صورةَ العشقِ على شطئٍ نهرِ النيلِ

واللهفةَ فى كلِّ الوجوهِ العابره!

والمواويلَ التى تعزفُ ألحانَ الهوى

بينَ أحضانِ شراعٍ هائمٍ

فى حمى بدرٍ مُطلٍّ

ونجيمات نشاوى ساهره

وفتىً تمتدُّ كفّاهُ إلى كفِّ فتاةٍ

تتدلَّلْ

وعلى أكتافها ذيلُ حصانٍ

يتهدلْ

وذراعًا طوقتْ خصرًا

وأخرى حائره!

والأحاديثَ التى تُلهبُ وجدانَ العذارى

وحكايا شهر زادْ

والخيالاتِ التى تُشعِلُ أجفانَ السُّهادْ

كُلما دارَ عتابٌ

أو تجلتْ خاطره!

اكتبى لى

كلما لاحت بواكيرُ الشّتاءْ

وبدا تشرينُ يُضفى لمسَة السِّحر

على كلِّ صباح ومساءْ

وعلى كلِّ ظهيره!

وانزوى الصيفُ وودَّعنا هجيره

فاستراحَ الكونُ من بعدِ عَناءْ

وأنا ما زلتُ ظمآنَ إلى قطرةِ ماءْ

وإلى ظلٍّ رفاقٍ وعشيره!

وإلى مُلهِمَةٍ لما يزلْ فى وجهها الغضِّ

علاماتُ الحياءْ

وعلى فستانها تلهو بلا قيد

ضفيره!

ها أنا أسترجع الماضى وأجترُّ

الأماسىَّ الأثيره!

التى كانت ملاذى.. وملاذَ الأصدقاءْ

كم سهرنا فى حِماها

نحتسى الشاىَ ونرتاحُ على صدر تهاويمَ

وأحلامٍ وثيره!

****

حدِّثينى عن همومِ الناسِ فى مصرَ

وكيفَ استقبلوا الأخبارَ والأشعارَ

كيفَ التقطوا تلكَ القصيده

الجديده

التى أودعتُ فيها

كلَّ ما أملكُ من ذوبِ المشاعرْ

والأحاسيسَ التى تبحرُ فى قلبى

على متن الخواطِرْ

والأمانىَّ التى ترتجُّ فى وجدان شاعرْ

رغمَ ساعاتٍ طوال

ومسافاتٍ بعيده!

إشرحى يا طفلتى لى.. وأعيدى

هل ترى مازال للشعرِ مكانٌ عندهم

هل ترى ما زلت فى وجدانهم

كلما مسّتْ حروفى مهجًا حيرى

وأرواحًا شريده!!

ودموع الشجن الممزوج بالدهشةِ

تتسابُ على وجَنةٍ عذراءَ

خريده!

لم يزل في جنبها قلبٌ معنىّ

وأحاسيسٌ تسافرْ

اكتبي لي

فأنا ما زلتُ مشتاقًا إلى حرفينِ

في كلِّ كتابٌ

مُستغيثا من عذابٍ

بعذابٌ!

اكتبي لي

فأنا قلدتُ تاريخكِ في الحبِّ وسامًا

لم يزل بالصفحةِ الأولى

على صدر الجريده!!

****

غريبان!

غريبان

يفترشان الظلامَ

ويحتميان معًا بالدجى المتناثر مثلَ الشظايا

على شرفاتِ المدينةْ

برغم السكون الرهيبِ الذى يتعثر فى الطرقات

برغم الرتابةِ

والأفق يرفل فى حلةٍ من سباتِ

فلا ينعمانِ بطرفةِ عينٍ

ولا يعرفانِ السكينةْ!

****

طليقان

مثلَ العصافير.. مثل الفراشاتِ

رغمَ الغيومِ التى تتكاثف خلفَ الحدودِ

ورغم الجبالِ

ورغم التلالِ

ورغم السدودِ

ورغم التقاليدِ والعرف والمستحيلِ

ورغم ظلام القيودِ

ورغم احتجازهما خلف ضوء النوافذِ مثل الرهينةْ

****

وحيدانِ

إلاَ من الصمتِ حين يشقُّ المدى

ومن هاجسٍ مبهمٍ لم يزل يتداعى

بكلّ حفيفٍ

وكلّ صدى!

ومن ذكرياتٍ حزينهْ

****

قريبانِ

رغمَ جنونِ المحاذيرِ والحظرِ

والعزلةِ الحالكه

ورغم الصواعقِ

والنار

والبرقِ والرعدِ

والأطر الشائكةْ!

ورغم احتراق الشواطىء بعد جنوح السفينه

****

خليَّانِ

إلا من العشقِ حين يمزقُ سترَ الليالي

فيلتقيان بلا موعدٍ

تحت جنحِ الخيالِ

ويشتهيان العناقَ اللذيذَ البعيد المنالِ

ويختلسانِ معًا لحظات من الوهمِ

لكنها لحظاتٌ ثمينه!

****

غريبانِ

قد أدمنا رحلة البعدِ والملتقى فى بلادٍ غريبةْ

فصرتُ أنا البدءَ والمنتهى

وصارت لىَ النور

فى عتمةِ الليلِ والكأس والمنتدى والحبيبةْ

****

حبيبان

قد رفرفا منذُ أن خُلِقا واستراحا

بصدر القمرْ

وقد سلما بعد ألفى عامٍ زمامهما فجأةً

للقدرْ

فذابا

وشقا ظلام المدى وأشاحا بوجهيهما

عن طقوس الحياة الرتيبه

وعادا ليحتميا بالدجى المتناثرِ مثل الشظايا

على شرفاتِ المدينةْ

طفلة الأمس!!

طفلةٌ في مقلتيها دهشةُ المغتربِ

... الفنانِ في أرض جديده

وشرود الشاعرِ الملْهَمِ في ليلةِ

... صيفٍ وهو يجترُ نشيده

ونداءٌ مبهمٌ كالليلِ جذابٌ

.. وأحلام.. بلا دربٍ شريده

وسنا بدر على الأفق مطلٌ

في دلال .. ونجيماتٌ بعيده

وخطى عـــذراءَ فى أول عـــشق

يحـتـويهـا ... وهى مـازالتْ عنيـده

طفلةٌ تختــال حـينًا كـالفـراشـاتِ

.. وتبـدو.. بعض أحـيـانٍ وحـيـده!

مـــثلمـــا أبدو أنا والليل ســـاجٍ

ورفـــيــقـــاىَ كــتـــابٌ وجـــريده!

والمدَى خلفى وقـــدَّامى فـــراغٌ

ومـــتـــاهـاتٌ من الصـــمتِ بليـــده

وخيـالى سـارحٌ.. كـيف اسـتداراتْ

طفلةُ الأمسِ التى كـانت وليـده؟!

كـيف أمـسى قـدها الناحلُ غـضًـا

ومحـيـاها تبـاشـيـرَ قـصـيـده؟!

ولماها وردة حـــمـــــراء تنـدى

خـمـرةً سـاحـرةَ اللونِ.. فـريده؟!

كـيف صـارت فـتنةٌ توغـرُ صـدرى

وبدت أجـــملَ من كلٍّ خـــريده؟!

عـذبتنى وهى تدعـونى إليـهـا

مـثلمـا الأمس.. بألقـابٍ عـديده

يومَ كـانت إن رأت بعضَ خـيـالى

سكنتْ بينَ ذراعىَّ سـعـيـده

ها هى الآن مـتى عـدتُ إليـهـا..

هرولت تركض خـجلى كـالطريده

كى تطيل الثـوبَ حـتى ركـبـتـيـهـا

وتدارى فـتنة يقظى.. رشـيـده

أوغلت فــيــهــا عــيــونى رغم أنفى

لحظةً - بالعــمــر - كـالدهر مــديده

طفلتى كونى كما أنتِ على فطرتكِ

الأولى.. على تلكَ العــــقـــيـــده

وارسمى فوقَ شفاهِ الشاعر المكدودِ

... أحـلام الصبـا الغض الرغيـده

بعـد أن أصـبحتِ مـرسـاهُ ومـأواه

... ونجـــواه ودنيـــاه وعـــيـــدَه!

رسالة

من الطفل درّه...!

من الطفلِ دُّره

إلى زعماءِ العروبةِ والمسلمينَ جميعًا

من الشامِ للنيلِ للمغربِ العربىّ

ومن بيتِ لحمٍ إلى الحرمينِ الشريفينْ

ومن كربلاءَ إلى المسجد الأموىّ

ومن أم درمان للركَّع السجَدِ العاكفينَ

بعاصمة الألف مئذنة فى رحاب الحسينْ

ومن ساحة الشهداء بغزه

إلى كلِّ مستضعف وأبىّ

أنا الطفل درَّه

سقطت شهيدًا هنا فوق صدر أبى

ببعضِ رصاصاتِ جندِ اليهودِ، وباراكَ ذاكَ الغبّى

على حين غِرَّه!

وكنتُ أتمتمُ فى السرِ - ساعتها - بنداءٍ خفىّ

وأدعو كثيرًا

بأن تتطهرَ أرضى

وأن يحفظَ الله أمى وأختى وعرضى

ويرفعَ هذا البلاءَ عن القدس ذاتَ صباحٍ

لتصبحَ حرَّه

أنا الطفل دُرَّه

أنادى عليكم لتستيقظوا أيها العرب النائمون

فقد مزقتنا الخلافات منذ ملوكِ الطوائفِ

وافترستنا العداوات منذ شتاتِ القرونْ

وفى كلِّ مرَّه

نغنىَ ونبكى على طلل:

إننا عائدونَ..!

ونذرف مليونَ مليونِ عَبره!

ويسقط ألف شهيد.. بلا ثمنٍ

وبلا أىّ عِبره

وتأكلنا حسرةٌ بعدَ حسره!

***

أنا الطفل دره

سقطتُ شهيدًا ـ كما يسقط البشرُ الطيبونَ هنا

أو كما يسقطُ الأبرياءَ

بكلِّ صباحٍ.. وكلِّ مساءَ

فلستُ بأوّل طفلٍ برىء ينالُ الشهادةَ

ولستُ الأخيرَ من الشهداءَ!

أذكركم وأنا راحلٌ

بأن هنا أول القبلتينْ

وأنّ هنا ثالثَ الحرمينْ

وأنّ هنا القدسَ والقادمينَ من الشرق والغرب

يستشرفون الحضارةَ

يستنشقون رحيق العباده!

هنا جاوز المصطفى ذات ليلٍ حدودَ الوجودِ

إلى سِدرةِ المنتهى بالسماءْ

ليلقى السلامَ على صفوةِ الأنبياءْ

ويهدى إلى القدس أغلى وسامٍ

وأرقى قلاده!

أذكرُكمِ وأنا راحلٌ

بأنّ فلسطينَ ليستْ مجردَ أرضٍ

وليستْ مجردَ شعبٍ

وليسَ الهتافُ بتطهيرها كلما دنَّسوها

مجرّدَ عاده!

وليستْ قصيدةَ شعرٍ تُغنىّ

متى جلدوا كلّ أطفالها دونَ رفقٍ

ودونَ هواده!

وإمَّا استباحوا مساجدها ومآذنها

واستحلوا الدماءْ!

أنادى عليكم لتستيقظوا أيها الراقدون

كفاكم بلاده!

فلن ترجعَ القدسُ بالعنترياتِ

والأغنياتِ المعاده

وشعرِ الرثاءْ!

ولن يتحررَ شبر من الأرضِ أو مسجدٌ

بالشعارات أو بالهتافاتِ

أو بالبكاءِ!

****

أنا الطفلُ دُرّه

أنادى عليكم لتستيقظوا أيها الغافلون

فلما يزلْ حلمنا مستحيلاً!

فأطفالنا بينَ أوطانهم غرباءْ

وأحفادنا كلهم غرماءْ

بلا رايةٍ

وبغير لواءْ

فما عادَ فى ربعكم ابن زيدٍ

او ابن الوليدِ أو ابن زيادْ

لكى نتعلمَ منهم فنونَ القياده!

أفيقوا

وإلاّ سنصبحُ مثلَ ثمودٍ وعادْ

إذا سَلَّطَ الله يومًا علينا

أكفَّ الفناءِ

وريحَ الإبادة!

****

برقيات حب..!

البرقية الأولى

أحبُكِ جدًا

وحين يعانقنى صوتك الوادع المترقرق كالنبعِ

عبر الأثيرْ

تعودُ إلىَّ البراءةُ

أرتد طفلا بأول عامْ

ينامْ

على أحرفٍ من حريرْ

أقبلُ فى شفتيكِ الكلامْ

وقبل الختامَ

أكادُ إلى شاطئيكِ أطيرَ

أهاجرُ مثلَ النوارسِ شرقًا

ومثلَ العصافيرِ شوقًا

ومثلَ الحمامَ

وينسلُّ من بين جنبيَّ

قلبى الأسيرَ

ليلقيَ عليكِ السلامَ

وينقلَ عنى الكثيرَ المثيرَ

ويمضى إليكِ

يدقُّ

يرقُّ

وقبلَ العناقِ الأخيرَ

يردد همسًا

أحبكِ جدًا

واعشقُ عينيك مذْ ألفِ عامْ

****

البرقية الثانية

أحبكِ جدًا

وأدرك أن الحياةَ قصيره

فهل تسمعينْ

وهل تفهمينْ

وهل تدركينْ

بأنك أصبحتِ أنتِ البلاطَ

وأنتِ الأميره

وأنى أحبك مُذ كنتُ طفلاً صغيرًا

ومذ كنت أنتِ فتاةً صغيره

وأذكر شكلَ حقيبتكِ المدرسّيه

ولونَ شرائطكِ النرجسية

وقد خاصرت خصلةً ذهبيةً

بكلِّ ضفيره

*****

البرقية الثالثة

أحبك جدًا

ولكننى لم أزل أتساءلُ.. أعجبُ

كيفَ أختلستِ مفاتيحَ قلبى

وكيف تربعتِ فى لحظةٍ فوقَ عرشِ القصيدة

كيف اهتديتِ أخيرًا لدربى

وكيف تسللتِ

كيف تخللتِ

كلَّ الحنايا

وكلَّ الخلايا

وكيفَ توسدتِ أهدابَ حبىّ

وكيفَ ارتسمتِ على شفتى كالحياه

وأصبحتِ معبودتى

تمتماتى بكل صلاه

ونجواى فى آخر الليل إما خلوتُ

أسبحُ حمدًا وشكرًا لربى.

*****

البرقية الرابعة

أحبك جدًا

وأهواكِ.. يا طفلتى

أشتهيكِ

وأحلم أن تسكنى وردةً فى فمى

وأن تسبحى قطرةً.. قطرةً

فى دمى

وأن تحتوينى

وأن أحتويكِ

وأنْ تصبحى أنتِ سيدتى وعيونى

وبعضَ جنونى

وقيدًا جميلا يحاصرنى

كالأساور بالمعصم!

وأن أنتمى

إلى مقلتيكِ

وأهجر كلّ المدائن

كى أتحرر فيكِ

وأن ارتمى

على عتباتكِ كالمستجير من النار بالعشق

والقمرِ الملهمِ

وأن احتمى

بنبع الحنان لديكِ

كطفلٍ رضيع إلى الآن لم يُفطَمِ

ويحلمُ بالدفء تحت جناحيكِ

عند اللقاء الوشيكِ

****

البرقية الخامسة

أحبك جدًا

وأعشق فوق محياكِ

لونَ الشجنْ

ولونَ الحياءْ

وأعشق هذى المدينة عينيكِ ـ

من بين كلِّ المدن

وهذى الملامح ـ وجهك ـ

من بين كل النساء!

وحينَ أفكر فى زمنٍ طيبٍ غير هذا الزمنْ

وأبحثُ عن وطنٍ آمنٍ

أو سكنْ

تكونين أنتِ تباشيرَ هذا الزمنْ

وأحلامَ هذا الوطنْ

وكلَّ العشيرة والأصدقاءْ

تكونينَ أنتِ الملاذَ الأخيرَ

لدى عودتى من جميع المنافى

بعيدًا عن القيظِ أو....

زمهرير الشتاءْ!

الشاعر/ عبدالجواد طايل

- من مواليد القاهره.
- حاصل على بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس عام ١٩٧٤.
- حاصل على ليسانس الآداب/ قسم اللغة العربية جامعة عين شمس عام ١٩٨٥.
- يعمل عضوا فنيا بالجهاز المركزى للمحاسبات/ إدارة المؤسسات الصحفية.
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- صدر له حتى الآن ستة دواوين شعرية هى:

١ - ولكنى أحبك ١٩٨٠م.

٢ - مملكة الحب / دار الفكر العربى/ القاهرة ١٩٨٢م.

٣ - أشواق وأشواك/ دار الفكر العربى/ القاهرة ١٩٨٥م.

٤ - والحب كان الثمن / المكتب المصرى الحديث/ القاهرة ١٩٩٢م.

٥ - هذا هو القمر/ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩م.

٦ - الحياة وطن/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م.

- له تحت الطبع:

- راهب ولؤلوه (ديوان شعر).

- خواطر نثرية (أوراق من حديقة العشق).

- حصل على عدة جوائز فى الشعر من بينها جائزة المركز الأول على مستوى الجمهورية بمصر عام ١٩٨٢ فى المسابقة التى نظمتها لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.

- شارك فى العديد من المهرجانات الأدبية من بينها مهرجان المربد ببغداد ١٩٨٨ و١٩٨٩/ مهرجان الجنادرية بالرياض عام ١٩٩٣م.

- تنشر قصائده بالصحف اليومية والمجلات الأدبية المختلفة المصرية والعربية.

- قام بتأليف وإعداد الكثير من البرامج الإذاعية بالإذاعة المصرية من بينها مساء الخسر يا بلدى - المبشرون بالجنة - أقطاب وألقاب... إلخ.

- ينشر بالمجلات المصرية والعربية خاطره نثرية أدبية عنوانها «أوراق من حديقة العشق» ومن بين هذه المجلات «نصف الدنيا وحواء»

- عمل كمسئول لقسم البحوث بالهيئة السعودية للمحاسبين القانونيين بالرياض وكمسئول عن إصدار وتحرير مجلة دورية تصدر عن الهيئة وذلك فى الفترة من (١٩٩٢ ـ ١٩٩٨).

- عنوان المراسلة بالقاهرة: ١٠٧ هارون الرشيد ـ مصر الجديدة ـ شقة ٣.

- تليفون مكتب: ٥٧٤١٦٥٢ منزل: ٢٦٧١٥٠٩ محمول: ٠١٢٣١٨٠١٣٩

الفهرست

١. لا تعتذري ١٣
٢ - الحصار ١٧
٣ - مسافر ولا أحد ٢١
٤ - الفراشة واللهب ٢٧
٥ - غدًا يا صغيري ٣٣
٦ - إلى طفلتي ريم ٤١
٧ - قدر ٤٧
٨ - عراقيه ٥١
٩ - هذه الرساله ٥٧
١٠ - سُهاد ٦٣
١١ - إلى امرأة جميلة جدًا ٦٧
١٢. غرفة أحلامي ٧١
١٢. إسمحي لي ٧٩
١٤. لولا أنتِ ٨٣

١٥ـ اقسم انى ٨٩
١٦ـ اكتبى لى ٩٥
١٧ـ غـريبـان ١٠١
١٨ـ طفلةُ الأمس ١٠٧
١٩ ـ رسـالة من الطفل دره ١١١
٢٠ـ برقـيات حب ١١٩

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٤٩٥ / ٢٠٠٤

I.S. B. N. 977 - 01 - 9389 - 5